فيما أصبح وجود الطرادات البحرية ووسائل الإنقاذ أمرا ضروريا مع تزايد كوارث الغرق

إلى متى الصمت والبحر يلتهم فلذات أكبادنا؟!

تحقيق/ أحمد حسن العقربي

ظاهرة الغرق في البحر الذي ذهب ضحيتها شباب وأطفال في عمر الزهور في موسم الرياح هذه الأيام - خصوصا التي تبدأ من أواخر شهر مايو حتى شهر سبتمبر من كل عام - التي شكلت هذا العام قلقاً بين أوساط المجتمع والأسر والسلطات المحلية وربات البيوت بسبب الارتفاع المتصاعد لضحايا الغرق بالرغم من إنذارات خفر السواحل التي نجدها في الإعلانات التحذيرية وفي الطرق والجولات المؤدية إلى السواحل وملصقات الإنذار بخطر السباحة في تلك الأشهر الآنفة الذكر والمعلقة على جدران المؤسسات والمنتجعات السياحية الواقعة بمحاذاة السواحل.

ومعروف أن البحر على امتداد الشواطئ في المناطق الساحلية من عدن مرورا بقرى (الحسوة والخيسة وفقم وعمران) وحتى منطقة (قعوة) أصبحت منطقة خطرة لا يمكن أن ينجو أحد من مخاطر هيجان البحر وأمواجه العاتية القوية التي ترتفع جراء امتداد الرياح والأعاصير -أحيانا- المحاذية للشاطئ .

لم نتعظ حتى بمحاذير ابن بطوطة!

وحتى الرحالة العربي ابن بطوطة الذي درج على وصف ما يراه دقيقا في أي مدينة ساحلية يريد دخولها إلا ويحاول أن يرسم لها صورة بانورامية من خلال وصفه لها ، والذي يتميز بالدقة والعفوية معاً ، حيث أنه قبل أن يدخلها يحدد موقعها الجغرافي ، وحينما تحدّث عن رحلته من ظفار إلى عدن قال :" أضربت علينا الرياح على هذه الرحلة عبر البحر بالرغم من محاذير خبراء البحر والربابنة باشتداد الرياح والأعاصير التي تبدأ من أواخر شهر خمسة حتى شهر أغسطس من كل عام وهو موسم الرياح التي تهب على المناطق الساحلية من ضمنها عدن" ، وروى كيف نجا ومرافقوه بأعجوبة من الموت جراء العواصف والريح الشديدة التي تكاد ترتفع حتى أعالي الجبال المحيطة بعدن وهي رحلة استغرقت بحسب وصفه لسفره وترحاله 28 يوما وكادت سفينته تتحطم لولا عناية الله .

وبالرغم من محاذير ابن بطوطة إلا أننا لم نتعظ وكل يوم نسمع عن جثة ألقت بها أمواج البحر في الساحل وجثث مجهولة الهوية وللأسف لم نتعظ من ذلك .

المؤسف له أن حالات الغرق تزداد في موسم الرياح والمؤسف المحزن أن الضحايا هم من فئة الشباب خريجي الجامعات أو الأطفال ، وتتركز مخاطر الغرق في ساحل العشاق وبفضل جهود فرق الإنقاذ من قبل خفر السواحل والصيادين وقواربهم تم إنقاذ أناس كثر من الموت .

المواقع المحظورة السباحة فيها

هناك أماكن معروفة ويسمح بالسباحة فيها لكن هناك أيضا أماكن يُمنع السباحة فيها خصوصا في موسم الرياح لمدة خمسة أشهر ابتداءً من أواخر مايو حتى شهر سبتمبر من كل عام وهو موسم أعاصير الرياح والأمواج ، ومن السواحل المحظورة السباحة فيها هي : (ساحل العشاق وساحل رامبو وجسر الشيخ عثمان) وخصوصا عندما ضيقوا القناة في الجسر السابق فأصبحت السباحة في القناة موتا محققا لأنه عندما ضاقت القناة أصبح هناك تياراً بحرياً جارفاً والمنطقة ضحلة ، وبحسب خبراء البحر والصيادين أصحاب الخبرة أنه مهما كان السباح ماهرا سيغرق في قناة الجسر ولذلك وجب المنع للسباحة تحت الجسر ، والحقيقة أصبح لا يمر عام إلا وكان للبحر نصيب الأسد من الضحايا الأمر الذي يذكرنا بالأساطير القديمة التي تزعم بأن البحر لا بد أن يبتلع عددا من الضحايا ، والعهدة على الراوي.

هل نقتنع بالأسطورة القديمة بتقديم القرابين للبحر في كل عام؟!

صور تقشعر لها الأبدان

إن المواطنين رووا لي مشاهد صور الغرق .. إن رؤية جثث الغرقى يقشعر لها البدن بعد أن تشوهت أجسامهم ، ومعظمهم من الشباب في عمر الزهور وآخرين مجهولين ، حقيقة إنها صور تهز المشاعر وترقرق الدموع والخوف أن تستفحل هذه الظاهرة مستقبلا بدون حلول ويحصد البحر خيرة شبابنا في حين بالإمكان أن نعمل شيئا للحفاظ على فلذات أكبادنا .

إمكانيات متواضعة

وحتى الجهات المعنية وخفر السواحل والأمن البحري إمكانياتهم - كما عرفت - متواضعة ، فهم بحاجة إلى توفير طرادات بحرية وسيارات إسعاف وتوفير بدلات الغوص مع الملحقات.

مقترحات مطلوب تنفيذها

أما المقترحات التي التمسناها من قبل المختصين بشؤون البحر والأهالي في المنتجعات السياحية فتكمن حسب رأيهم من درء مخاطر الغرق والعمل على تفعيل الإرشادات والتوجيهات والدوريات المستمرة من قبل أفراد الأمن البحري وخفر السواحل والدوريات الراكبة والراجلة والمستمرة على الشواطئ من قبل أفراد الأمن البحري وخفر السواحل وكذا نزول قوارب خفر السواحل من خلال الدوريات ورسوها أحيانا على مواقع الشواطئ التي تكون فيها الحالات دائمة بسبب اضطراب البحر وتقلبات الأعاصير.

رأي أحد المجالس المحلية في عدن

قال لي مصدر محلي أن المجلس المحلي في التواهي في السابق قد قام بإجراءات وقائية لانتشال سفينة الموت الحربية التي كانت مرابطة على الشاطئ قبل السنوات القليلة الماضية في منطقة ساحل العشاق ، حيث جرى تفكيك وتقطيع وانتشال السفينة وأطلق عليها (سفينة الموت) وذلك لتعرض العديد من الأشخاص للموت غرقا عندما كانوا يسبحون بمحاذاة السفينة.

الطالب عوض صالح حسن - سنة رابعة / بكلاريوس علوم إدارية - قال :" نحن شباب نشعر بالحزن على شباب في عمر الزهور ذهبوا ضحية الغرق خصوصا وأن هذه الأشهر هي أشهر الرياح وأن معظم الشباب الغرقى من طلاب الجامعات والثانوية وأطفال في عمر الزهور ".

هناك جهود إنقاذية وطيبة لخفر السواحل والأمن البحري لكن لاتزال بحاجة إلى الإمكانيات

ماذا يقول أولياء الأمور ؟

الوالد "طه مكرد" وهو من القاطنين في حي البنجسار بالتواهي ، ويسكن في إحدى المساكن المحاذية لميناء عدن بمحاذاة البحر قال :" بالرغم من أنني أسكن بمحاذاة البحر وأشعر بخطورة أمواجه العاتية التي أحيانا تتجاوز الساحة الأمامية لمبانينا ويعترينا الخوف وأنا والأسرة ، فما بالك أن يواجه السباحون هذه الأمواج القوية والرياح الشديدة؟! .. أستغرب أن الأسر لم تمنع أبناءها من الذهاب إلى البحر في مثل هذه الأيام أو إهمال البعض منهم إلى جانب ضعف المؤسسات الشبابية والتربوية والإعلامية على وجه الخصوص التي ينبغي أن تقوم بالدور التوعوي والتنويري والمحاذير من مخاطر الغرق..".